ملخص كتاب: أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة علم التجويد

تأليف: أ.د. غانم بن قدوري الحمد

جنى المعرفة:

مبادرة هادفة لإثراء المحتوى الرقمي بمنتج ثقافي قيّم، يسهم بزيادة مستوى الوعي والمعرفة عن طريق تقديم الكتب الثقافية من خلال محتوى مرئي ومسموع لكي تكون عناقيد المعرفة بين يديك.

إن هذا الكتاب هو المادة العلمية لدورة تدريبية قام بها المؤلف في مجال تخصصه لبيان أهمية دراسة علم الأصوات للباحث في علم التجويد، ولبيان ما يمكن أن تضيفه الدراسات الصوتية المعاصرة لعلم التجويد في كافة جوانبه. وتتلخص وجهة نظر المصنف في إبراز أهمية علم الأصوات اللغوية في معالجة موضوعات علم التجويد وطريقة تعليمها. وقد وضع المؤلف برنامجاً تضمن أربعة محاور كالتالي:

(المحور الأول):

مقدمة تاريخية ومنهجية تناول فيها نشأة علم التجويد وعلاقته بعلم الأصوات فتكلم عن علم التجويد رواية ودراية. ثم بيّن فروع علم الأصوات اللغوية وأكثرها فائدة للمشتغلين بعلم التجويد.

(المحور الثاني):

أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة إنتاج الأصوات اللغوية، والمخارج والصفات. وتكلم فيها عن آلية إنتاج الصوت اللغوي وما يمكن أن يقدمه الدرس الصوتي الحديث في تحديد المخارج وكذلك في تعريف عدد الصفات.

(المحور الثالث):

أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة المصوتات (الحركات وحروف المد). وبيّن فيها دور الحركات المعيارية في تحديد مخارج المصوتات وصفاتها، وكذلك تحدث عن الترقيق، والتفخيم، والإشمام.

(المحور الرابع):

أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة عدد من الظواهر الصوتية التركيبية. وفيه تكلم عن الإخفاء والإخفاء الشفوي.

وقد تبلور هدف الكاتب الذي سعى لتحقيقه في أمرين:

الأول: التحقق من أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة موضوعات علم التجويد وتعليمها.

الثاني: إبراز ما حققه علماء التجويد من أفكار صوتية، وما وصلوا إليه من حقائق علمية، من خلال وسائلهم التي تعتمد على الملاحظة الذاتية قبل أن تظهر الدراسة الآلية للأصوات، ومختبرات الأصوات، وغيرها من الأجهزة الحديثة التي يشترك في العمل فيها أهل التشريح وأطباء الأنف والأذن الحنجرة، وأهل الفيزياء، وهندسة الاتصالات، والمختصون في الأصوات.

ويصرح المؤلف بأن الفجوة بين علم الأصوات وعلم التجويد قد تكون مصطنعة، بل إن الفجوة بين المشتغلين بالعلمين ناتجة عن عدم معرفة كل فريق ما عند الآخر، وأن الحاجة صارت ملحّة

لمعرفة كل فريق ما عند الآخر والاستفادة منه، لا سيما والموضوعات المشتركة بينهما كثيرة والوسائل متقاربة، والواجب على العلماء من الجانبين العمل على التخلص من تلك الفجوة، فعلماء التجويد لهم جهود لا تنكر تصنيفا وتطبيقا توارثها القراء جيلا بعد جيل، وأثبتت الأيام فاعليتها بتعليم التلاوة وصيانة القراءة، لكنهم يحتاجون لقفزة في علم التجويد من جانبهم للاستفادة من العلماء المعاصرين الذين هم أكثر دراية بجسم الإنسان وجهازه الصوتي، ومن ثم يمكنهم الوصول لتعريف دقيق للخصائص الصوتية من حيث مخارج الأصوات وكيفية إخراجها.

وإذا كان دارسوا الأصوات اللغوية منشغلين بما هم عليه من أفكار جديدة ووسائل حديثة غير مهتمين بكتب علم التجويد ولا بالقراءات وكتب التراث اللغوي، فإن عليهم أن يجتهدوا في التعرف على حقائق هذا العلم الشريف، وما فيه من فوائد ليتمكنوا من فك رموز الدرس الصوتي عند القراء والنحويين، ليحل التعاون والتكامل بين العلمين من أجل خدمة القرآن الكريم واللغة العربية.

ويؤكد المؤلف على أن الدعوة للإفادة من علم الأصوات اللغوية في مباحث علم التجويد لا تعني أبدا الدعوة إلى التخلي عن تراثنا الصوتي الذي حفلت به كتب التجويد والنحو والصرف، لا سيما وقد أثبت الدرس الصوتي الحديث صحة ما دوّنه علماء العربية والتجويد في كتبهم عن الأصوات اللغوية، فضلا عن الأثر المبارك لتراث هؤلاء العلماء في حفظ قراءة القرآن والنطق العربي صحيحا على مدى قرون كثيرة، وإن كان ذلك لا يمنع من الاستفادة مما أحرزه التقدم العلمي وكشف عنه من حقائق تتعلق بالأصوات اللغوية وبآلة النطق وطريقة عملها.

ثم بدأ المؤلف بالحديث عن (المحور الأول)

وذكر فيه مقدمة تاريخية ومنهجية تضمنت ما يلي:

أولا: نشأة علم التجويد:

يرتبط الحديث عن نشأة علم التجويد بالحديث عن علمين آخرين هما علم القراءات وعلم العربية، إذ في ظلهما نبتت مباحثه، ومن خلالهما تطور واستوى على سوقه حتى غدا علما مستقلا بذاته حائزا لقبا خاصا به هو (علم التجويد).

فعلم التجويد وإن كان قد تأخر ظهوره نحو قرنين من الزمان بعد ظهور كتب القراءات والعربية؛ إلا أن المادة العلمية التي دار حولها هذا العلم كانت جزءا من تلك الكتب، ولعل من الأدلة القوية على ذلك أن كتاب سيبويه – وهو أقدم كتب قواعد العربية وصولا إلينا– قد تضمن بابا كبيرا عن مخارج الحروف وصفاتها والظواهر الصوتية المرتبطة بها. كما أن كتب القراءات القديمة تتضمن هي الأخرى إشارات إلى بعض مسائل التجويد ومعالجات لبعض موضوعاته.

وقد أدى التقدم العلمي الكبير في القرنين الثاني والثالث الهجريين في علمي اللغة والقراءات إلى ترسيخ قناعة لدى العلماء بضرورة إفراد موضوع مخارج الحروف وصفاتها وأحكامها الصوتية

بكتب مستقلة خاصة بها، تختلف في تناولها عن كتب النحو والصرف والقراءات إلى أن شهد القرن الرابع الهجري ولادة علم جديد يحقق ذلك الهدف على يد الإمام (أبي مزاحم موسى بن عبيد الله الخاقاني) الذي نظم قصيدة من واحد وخمسين بيتا في حسن أداء القرآن شرحها (الحافظ أبو عمرو الداني).

كما كتب (ابن جني) كتاب (سر صناعة الإعراب) فذكر أحوال الحروف مفردة وبيّن مخارجها وصفاتها وتصرفها في الكلام وأطلق على هذه المباحث (علم الأصوات والحروف). وواصل علماء القراءات الجهود في هذا العلم حتى تمكن الإمام (أبو الحسن علي بن جعفر السعيدي) قبل نهاية القرن الرابع الهجري من تصنيف رسالة في اللحن الخفي والجلي كان لها دور جلي في تأسيس علم التجويد وتثبيت أركانه.

وتبع ذلك ظهور أول كتاب جامع في علم التجويد (الرعاية لتجويد القرآن) لمكي بن أبي طالب العيسى، وبعده كتاب (التحديد في الإتقان والتجويد) لأبي عمرو الداني.

ويلاحظ التطابق الشديد في منهج الكتابين مع منهج ابن جني في (سر صناعة الإعراب) مع إضافات مهمة رسخت معالم هذا العلم الشريف. ويظهر هذا التطابق في مناهج الكتب الثلاثة من خلال مطالعة كل منهم على حدة، حيث تعريف الصوت والحرف والحركة، وبيان العلاقة بين الحركات وحروف المد ومعنى حروف المعجم، والحديث عن كل حرف وأهم صفاته الصوتية وتعريفه واشتقاق الحروف وجمعها وأيها مأخوذ من الآخر، وألقابها وما يجب التحفظ عند النطق بالحرف خاصة إذا جاوزه ما يقاربه أو يشاركه في بعض الصفات، إلى آخر تلك المباحث التي تؤكد طريقة التناول المتشابهة إلى قدر كبير، مما يؤكد الترابط الشديد بين علم التجويد وعلوم العربية لا سيما علم الأصوات العربي.

إن كل مطالع لمعالجات علماء التجويد المتقدمين لموضوعات مخارج الحروف وصفاتها وما كتبه كذلك علماء اللغة العربية ليدرك أن علماء التجويد لم يبتعدوا عما قرره علماء العربية، سواء في عدد مخارج الحروف أو صفاتها، ولم يتوقفوا عند مجرد النقل بل كانت لهم زيادات وإضافات متميزة في ذلك حتى صار علماء العربية يأخذون عنهم في آخر الأمر.

ثانيا: علم التجويد بين الرواية والدراية:

الرواية والدراية منهجان في دراسة العلوم، وتستعمل كلمة الرواية للدلالة على الحفظ للنصوص من القرآن ولغة الشعر. أما كلمة الدراية فتستعمل للدلالة على فهم القارئ للنصوص، والقدرة على إدراك القواعد التي تحكمها و العلل التي تفسر ظواهرها.

وفيما يتعلق بعلم قراءة القرآن الكريم فإنه يشمل علمين هما: القراءات والتجويد، فالقراءات تختلف بحسب عزو الرواة، والتجويد يبحث فيه عن مخارج الحروف وصفاتها والأحكام الناشئة عن

تركيبها، وعليه نسب بعض العلماء علم القراءات إلى الرواية وعلم التجويد إلى الدراية، كما صرح بذلك مكي القيس في كتابه (الرعاية).

وإذا تقرر أن علم القراءات هو علم رواية فلا مجال للاجتهاد فيه، وكذلك إذا تقرر أن علم التجويد هو علم دراية فإن باب الاجتهاد فيه مفتوح، فالناس متفاضلون في العلم به. ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا السياق أن وسائل الدراية في دراسة علم التجويد متنوعة ومتعددة، وتأسيسا على ذلك فإن استعمال بعض حقائق علم الأصوات الحديثة في تفسير ظواهر النطق أمر ممكن وغير مستنكر إن لم يكن مطلوبا. كما أن ما أحرزه العلم في مجال التشريح يمكن الاستعانة به في الكشف عن أسرار الصوت الإنساني وكيفية حدوثه.

ولعل حصول الاختلاف بين علماء التجويد المتقدمين والمتأخرين في بعض مسائل التجويد دليل قوي على أن باب الاجتهاد في دراسة علم التجويد لم يغلق، ومن ثم فلا ينبغي الحيلولة بين الدارسين لهذا العلم والمتخصصين فيه وبين الوسائل الحديثة لدراسة الأصوات اللغوية.

ثالثا: فروع علم الأصوات اللغوية:

يهتم علم اللغة الحديث بدراسة مكونات اللغة الإنسانية من خلال عدة مستويات تتشكل منها علوم اللغة من أبرزها: علم الأصوات، وعلم الصرف، وعلم النحو، وعلم الدلالة. والمقصد هنا هو الحديث عن أهمية علم الحديث والدراسات الصوتية اللغوية الحديثة في دراسة علم التجويد وتعليمه.

واللغة هي في الأصل عبارة عن أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وهناك علوم جديدة متعددة تتقاسم دراسة الأصوات العامة والصوت اللغوي خاصة، منها:

١- ما يهتم بدراسة مصدر الصوت، ويسمى علم الأصوات النطقي أو الفسيولوجي، ويدرس أعضاء آلة النطق، وحركات هذه الأعضاء من أجل إنتاج الصوت وتحديد مخارج الأصوات وبيان الصفات الصوتية التي تشكل الصوت. ويعد الدرس الصوتي العربي القديم مثالا ممتازا لهذا الضرب من الدراسة، وقد خطا هذا العلم خطوات واسعة بعيدة المدى في دراسة أعضاء النطق وكيفية إنتاج الأصوات اللغوية، بفضل التقدم العلمي في مجال علم وظائف الأعضاء وعلم التشريح فكشف الكثير من أسرارها.
٢- علم الأصوات الفيزياوي، حيث نظر إلى الصوت باعتباره أثرا سمعيا ناتجا عن جسم يهتز يؤدي إلى سلسلة من التغيرات في ضغط الهواء، فكل تغير يسمى ذبذبة وهي حركة الجسم في اتجاه ثم عودته في الاتجاه المعاكس، ويقاس الصوت الناتج بعدد الذبذبات في الثانية الواحدة ويسمى التردد، وعندما تتحرك جزيئات الهواء تحت تأثير اهتزاز الجسم يتولد ما يسمى بالموجة الصوتية التي تنتشر في الهواء بسرعة ٣٤٠ مترا في الثانية الواحدة، والهواء لا يتحرك ولكن تضغط جزيئات الهواء المجاورة للجسم المهتز على ما يليها فتنتقل الموجات بكل الاتجاهات، فإذا صادفت أذن السامع أحس بها على مقدار ما فيها من قوة، والأذن البشرية

يمكنها سماع الأصوات التي يتراوح ترددها بين عشرين ذبذبة في الثانية إلى عشرين ألف ذبذبة في الثانية.

وجدير بالذكر أن التقدم العلمي في مجال علوم الطبيعة قد ساعد كثيرا في تعريف اللغويين بكثير من خواص الأصوات وطبيعتها، لا سيما بعد الاعتماد على أجهزة حديثة تقوم بتحويل الموجات الصوتية إلى ترددات كهربية يتم عرضها على شاشات الحاسوب، أو طباعتها على الورقة ومن ثم تحليلها ودراستها.

٣- علم الأصوات السمعي، وهو من أحدث فروع علم الأصوات اللغوية، حيث يهتم بالعملية التي تبدأ بوصول الموجات الصوتية إلى الأذن حتى إدراكها في الدماغ، وهي عملية لها جانبان جانب عضوي؛ ينظر في الذبذبات الصوتية وفي عمل ووظيفة الجهاز السمعي عن استقبال هذه الذبذبات. وجانب نفسي؛ يركز على البحث في تأثير هذه الذبذبات على أعضاء السمع الداخلية، وفي عملية إدراك السامع للأصوات وطريقة حصول هذا الإدراك.

وخلاصة ما سبق هي أن هناك تلازما بين مباحث علم التجويد ومباحث علم اللغة العربية، كما أن هناك قواسما مشتركة بين موضوعات علم التجويد وموضوعات علم الأصوات. والدعوة إلى الإفادة من علم الأصوات اللغوية في دراسة علم التجويد لا تعني أن تغير التلاوة أو القراءة؛ وإنما القصد هو الإفادة من الحقائق العلمية التي أثبتها العلم الحديث في فهم طبيعة الصوت اللغوي، وتفسير الظواهر الصوتية في التلاوة تفسيرا علميا يسهل فهمها وتعلمها.

بعد ذلك ينتقل المؤلف إلى (المحور الثاني)

والذي تحدث فيه عن أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة إنتاج الأصوات اللغوية والمخارج والصفات.

لقد اهتم علماء اللغة العربية قديما بالتركيز على مخارج الأصوات وصفاتها، ولم يهتموا كثيرا بكيفية حدوث الصوت الإنساني، وقد تأثر بعضهم بما ذهب إليه الفلاسفة المسلمون في كلامهم عن كيفية صدور الصوت، وتسلل منه شيء إلى كتب التجويد المعاصرة.

وليس كل ما قاله المتقدمون عن الصوت غير صحيح، بل إن قسما كبيرا منه يوافق ما توصل إليه العلم الحديث، وإن كانت بعض صياغاتهم تفتقد إلى الدقة في التعبير، الأمر الذي يدعونا للاستفادة مما أحرزه علم الأصوات النطقي من حقائق تتعلق بآلية إنتاج الصوت وتنوعه، ليساعد ذلك دارسي التجويد ومتعلميه على إدراك حقيقة الصوت وطريقة تكونه وتنوعه.

ولقد توسع الفلاسفة المسلمون كالفارابي وابن سينا في بيان أسباب حدوث الصوت وبينوا أنه قرع لمجرى النفس بجزء من الحلق، أو بشيء من أجزاء ما فيه وباطن الأنف والشفتين، حيث تتولد قوة من قرب هواء النفس من الرئة وتجويف الحلق أولا فأولا إلى طرف الحلق، ثم اللسان الذي يتلقى ذلك الهواء فيضغطه إلى جزء من أجزاء باطن الفم، وإلى جزء من أجزاء أصول الأسنان فيقرع به ذلك الجزء فيحدث من كل جزء يضغطه اللسان عليه ويقرعه به تصويت محدود، وينقله اللسان بالهواء إلى أجزاء من أصل الفم فتحدث تصويتات متتالية. فالصوت يحدث من تموج الهواء بين قارع ومقروع.

ثم انتقلت هذه الأفكار إلى أهل اللغة في القرن الرابع الهجري وما بعده، فبرزت في كتابات ابن جني وأسهمت في تشكيل نظريته في تعريف الصوت والحرف التي أخذها عنه كثير من علماء اللغة والتجويد. كما تسربت عبارات الفلاسفة كذلك لكتب التجويد المعاصرة وإن كانت بشكل غير دقيق. ومن الأمور التي لا سبيل لإنكارها أن المعاصرين من دارسي التجويد ومتعلميه قد استفادوا بدورهم من الفلاسفة المسلمين في هذا المجال، فإذا كان لعلماء التجويد في العصور السابقة عذرهم في أنهم بذلوا جهدهم في فهم الحقائق العلمية المتعلقة بالصوت في ضوء معارف عصرهم؛ فإن المؤلفين المعاصرين في علم التجويد عليهم أن ينتفعوا بما كشفه التقدم العلمي فيما يتعلق بإدراك حقيقة الصوت وكيفية إنتاجه وعوامل متنوعة.

وخلاصة هذا الكشف العلمي الحديث لحقيقة الصوت وإنتاجه وتنوعه؛ هي أن الهواء الخارج من الداخل هو مادة الصوت الإنساني وهو الزفير، وحين سكوت الإنسان يبقى مجرى النفس مفتوحا فلا يحدث صوت، فإذا رغب الإنسان في إحداث صوت لغوي احتاج إلى تحريك آلة النطق لاعتراضه هواء الزفير وتضييقه مجراه أو غلقه وفتحه؛ مما يؤدي لحدوث الصوت. ولا تتم عملية إنتاج الصوت اللغوي إلا بتحريك عدة مواضع من أجزاء آلة النطق، في عملية معقدة تعتمد على حالة الوترين الصوتيين وتذبذبهما عند مرور النفس، فتنتج صفة الجهر أو تباعدهما من غير تذبذب فتنتج صفة الهمس.

وتعتمد كذلك على مواضع اعتراض النفس في آلة النطق ابتداء من تجويف الحلق وانتهاء بالشفتين، وكذلك تعتمد على كيفية اعتراض النفس في ذلك الوضع حيث تتحد بموجبه صفات الحروف الأخرى من شدة ورخاوة وانفتاح وغنة وغير ذلك.

لقد قسم طائفة من علماء التجويد المخارج إلى مخرج محقق ومخرج مقدر. والمخرج هو الموضع الذي ينشأ منه الحرف أو هو موضع خروجه، أي هو نقطة الانسداد أو التضييق التي يحدث عندها حبس الهواء، فهو موضع اعتراض النفس عند النطق بالحرف.

ويرى علماء الأصوات اللغوية المحدثون أن التضييق الذي يحدث في تجاويف آلة النطق المصاحب لنطق الحركات وحروف المد تضييق جوفي لا موضوعي وهو نفس تقسيم علماء التجويد إلى محقق ومقدر.

وقد اختلف جمهور السلف في عدد مخارج الحروف هل هي ستة عشر أو أربعة عشر أو سبعة عشر وليس هناك كبير فرق بين هذا الاختلاف. ومع أن ما توصل إليه علماء العربية وعلماء التجويد في تحديد مخارج أصوات العربية بالاعتماد على الملاحظة الذاتية أمر عدّه المحدثون من الإنجازات المتميزة لهم، لكن البحث لا يزال مجاله واسع في عدد المخارج، خاصة المخارج التي لا تُظهر للعين أعضاء آلة النطق التي تنتجها، كأصوات الحلق وعدد من أصوات الفم، وقد أتاح التقدم العلمي وسائل حديثة لتحديد المخارج هي أكثر دقة من الملاحظة الذاتية.

ومن جملة الوسائل الحديثة التي تساعدنا في ذلك: وسام الحنك الإلكتروني. ومنظار الحنجرة الإلكتروني، ولا يعني وجود هذه الأجهزة وما توصلت إليه من نتائج أن كل ما ذهب إليه دارسوا الأصوات المحدثين؛ هو صواب أو لا يقبل المناقشة. لا سيما والمحدثون أنفسهم مختلفون فيما بينهم في بعض مخارج الحروف كحرف الغين والخاء.

ما يمكن أن يقدمه الدرس الصوتي في تعريف عدد من الصفات:

مما استقر عند الدارسين أن تحديد مخرج الحرف يكفي وحده للكشف عن جميع عناصره الصوتية التي تميزه عن الأصوات الأخرى. وقد قام علماء التجويد بدراسة تلك الصفات وعرفوها بدقة كبيرة لكن هناك بعض التعريفات فيها نظر.

ومن جملة الصفات المؤثرة بشكل بارز في نطق الأصوات الجهر والهمس والشدة والرخاوة، وقد عرفها العلماء السابقون واستفاد منهم من بعدهم وحظي كذلك باهتمام الدارسين المحدثين. ومع تطور التعريفات صار تعريف المهموس في بعض المؤلفات: (جريان النفس عند النطق به ساكنا)، وتعريف المجهور: (انحباس جري النفس مع الحرف عند النطق به)، كما أن بعض شرّاح المقدمة الجزرية وبعض علماء التجويد المتأخرين وقعوا في خلط بين تعريف المجهور والشديد وبين المهموس والرخو.

والحقيقة أن جمود المتأخرين على عبارات الكتب القديمة في تعريف المجهور والمهموس والشديد والرخو قد شق العقبة في طريق المتعلمين في إدراك حقيقة الصوت وفهم صفات الأصوات على نحو يتناسب مع الحقائق العلمية التي انتهى إليها تطور علم الأصوات في العلم الحديث.

ومما تجدر الإشارة إليه أن تعريف مصطلحات الجهر والهمس والشدة والرخاوة في علم الأصوات يسهل فهمها والوقوف على حقائقها، وأداء أصواتها على نحو سليم، فموضع الجهر والهمس هو الوتران الصوتيان في الحنجرة، وموضع الشدة والرخاوة هو مخرج الحرف ولا تعارض بينها في ذلك مما يجعل الجهر والهمس لا يحتاجان صعوبة لإدراك حقيقتهما. حيث جاءت نتائج استخدام الأجهزة الحديثة مؤكدة للعيان اهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق بالأصوات المجهورة وتباعدهما عند النطق بالمهموسة.

بعد ذلك ينتقل المؤلف إلى (المحور الثالث)، وقد تحدث فيه عن: أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة المصوتات (الحركات وحروف المد)

والمصوتات وهي (الحركات وحروف المد) أحد قسمي الأصوات اللغوية بحسب انفتاح المخرج حيث يقسمونها إلى أصوات صامتة (جامدة)، وأصوات مصوتة (ذائبة)، وهذا التقسيم معروف لدى علماء السلف كما استعملها المحدثون، ولم يتمكن علماء العربية والتجويد من الكشف عن كل ما يتعلق بمخارج هذه الأصوات وصفاتها لكون مخارجها متسعة لهواء الصوت، يصعب معها تحديد الموضع الذي يحدث فيه اعتراض النفس، وهذا لا يعني التقليل من جهودهم في هذا المجال.

وتتبين أهمية علم الأصوات اللغوية في مجال المصوتات من خلال الموضوعات التالية:

الموضوع الأول: الحركات المعيارية، لقد حاول العلماء المحدثون التغلب على صعوبة تحديد مخارج المصوتات حيث اكتشفوا الأسس التي يقوم عليها نطق الأصوات والتي تتلخص في ثلاثة أمور:

الأول: الجزء الذي يتغير من اللسان مع كل مصوت

والثاني: مقدار ارتفاع ذلك الجزء

والثالث: وضع الشفتين مع كل مصوت.

وتقوم الحركات المعيارية على ثلاثة أسس وهي:

الأول: تحديد الجزء الذي يتصعد من اللسان باتجاه الحنك الأعلى (سقف الفم).

الثاني: تحديد مقدار ارتفاع اللسان باتجاه الحنك الأعلى.

الثالث: تحديد الشكل الذي تتخذه الشفتان في أثناء النطق بالحركة.

الموضوع الثاني: موضع الإمالة في الحركات المعيارية:

لقد حظي موضوع الإمالة بعناية العلماء السابقين والمتأخرين والمحدثين، فالفتح لغة أهل الحجاز، وهو على ضربين: شديد ومتوسط، والإمالة لغة عامة أهل نجد، والإمالة كذلك على ضربين: متوسطة وشديدة.

وهذا التقسيم قريب مما يسميه علماء الأصوات بالحركة المعيارية فالفتح الشديد = الحركة المعيارية الخامسة، والفتح المتوسط = الحركة المعيارية الرابعة، والإمالة الشديدة = الحركة المعيارية الثانية، والإمالة المتوسطة تساوي الحركة المعيارية الثالثة.

الموضوع الثالث: حركة الإشمام في (قيل) ونحوها

لقد بذل علماء العربية والقراءة جهودا كبيرة لبيان حقيقة الإشمام في الفعل الماضي المبني للمجهول من الفعل الثلاثي الأجوف في نحو ((قيل)) و((سيء)) وهو أمر فيه نوع من الصعوبة، ولقد صرح العلماء بأنها لا تضبط إلا بالمشافهة. وتتابعت المحاولات لإيضاح حقيقة النطق بالاشمام في هذه الأفعال. ويمكن لعلم الأصوات اللغوية الحديث أن يقدم مساعدة للدارسين لإدراك حقيقة النطق بالإشمام في هذه الحالة من خلال الحركات المعيارية. حيث يمكن للدرس الصوتي الحديث الاقتراب من وصف الظاهرة وصفا دقيقا. مع الوضع في الاعتبار أنه ستظل المشافهة هي الأكثر فائدة للمتعلم من تلك الوسائل.

بعد ذلك ينتقل المؤلف إلى (المحور الرابع)، والذي تحدث فيه عن: أهمية علم الأصوات في دراسة الظواهر الصوتية التركيبية

إن من الحقائق العلمية والقوانين الصوتية التي سبق علماء العربية والتجويد لإدراكها وجاءت الدراسات الصوتية الحديثة مؤكدة لها؛ أن الأصوات إذا تجاوزت في السلسلة الكلامية يؤثر بعضها في بعض، وهذا التأثر يتوقف مقداره ونوعه على العلاقة بين الصوتين المتجاورين، وكلما تدانت الأصوات في المخارج وتقاربت في الصفات ازداد ذلك التأثر، وقد أطلق علماء العربية والتجويد على ذلك التأثر عددا من المصطلحات منها: المضارعة والتقريب، والإدغام، وهو أنواع: كبير وصغير وكامل وناقص، ومتقدم وراجح، ثم جمع العلماء المحدثون هذه الأنواع تحت مصطلح واحد هو: (المماثلة) .

ومن الموضوعات المتعلقة بالظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب ظاهرة الإخفاء في النون الساكنة والميم الساكنة؛ حيث اختصتا بصفة الغنة التي يسميها المحدثون بالصوتين الأنفيين لأنهما يخرجان من الأنف. فأما النون فتتنوع أحكامها، وتنوع أحكام النون ينبني على قانون صوتي عام، وهو أن التقارب بين الحروف في المخارج أو الصفات يترتب عليه التأثر الكامل أو الناقص، وأن التباعد يمتنع معه ذلك.

من جهة أخرى فإن الميم تمتاز عن بقية حروف الشفتين بالغنة وهي من الصفات التي تمنع من إدغامها في غيرها من الحروف سواء حروف الفم أو الحلق أو بقية حروف الشفتين وهي الفاء والباء والواو.

وللميم الساكنة مع الحروف ثلاثة أحكام هي: الإدغام في مثلها، والإخفاء عند الباء، والإظهار عند بقية الحروف. ويتحقق إخفاء الميم بانطباق الشفتين للميم ثم ضغطهما للنطق بالباء، وهذا أقرب إلى تحقيق مقصد السهولة في النطق والاقتصاد في المجهود.

وبعد هذه الرحلة مع أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة علم التجويد وتعليمه، يتبين لنا أهم الموضوعات والمسائل التي يمكن أن يكون لعلم الأصوات اللغوية فائدة في معالجتها، سواء القضايا المتعلقة بإنتاج الأصوات أم القضايا المنهجية، أو دراسة المخارج والصفات أو تفسير الظواهر التركيبية والأحكام الصوتية. ولا يفوتنا الإشارة إلى أن المشتغلين بعلم الأصوات اللغوية إنما هم بشر يخطئون ويصيبون، وهذا لا يمنع من أخذ المفيد منهم وترك الخطأ لهم فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها.

والله ولي التوفيق